الرَّحْمَـــةُ

فِي حَيَـاةِ الرَّسُـولِ

عبدالرحمن بن إدريس الدريس

فِهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
أهداف البحث	٦
حقيقة الرحمة	٦
فضل الرحمة في الكتاب والسُنَّة	٦
الفصل الأول: رحمة رسول الله ﷺ مع المسلمين	١٣
المبحث الأول: رحمته ﷺ بالضعفاء	١٥
المطلب الأول: رحمته ﷺ بكبار السن والوالدين	١٥
المطلب الثاني: رحمته ﷺ بالأطفال	١٦
المطلب الثالث: رحمته ﷺ بالنساء	١٧
المطلب الرابع: رحمته ﷺ بالخدم والرقيق	١٩
المطلب الخامس: رحمته ﷺ بالفقراء	٢٠
المبحث الثاني: رحمته ﷺ بالمخطئين والمذنبين	٢١
المبحث الثالث: رحمته ﷺ بالأمة في جانب العبادات	٢٦
المبحث الرابع: رحمته ﷺ بعموم الأمة	٢٨
الفصل الثاني: رحمة رسول الله ﷺ مع غير المسلمين	٣٠
المبحث الأول: رحمته ﷺ مع غير المسلمين	٣٢
المبحث الثاني: رحمته ﷺ بمن آذاه من غير المسلمين	٣٥
من وسائل جَلْب الرحمة	٤٠
من معوقات تطبيق الرحمة	٤٣
من آثار الرحمة	٤٣
المصادر والمراجع	٤٥

اِرحَمِ الخَلْقَ جميعاً إنَّما ..
يَرْحَمُ الرَّحْمنُ مِنَّا مَنْ رَحِم

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة السلام على المبعوث رحمةً للعالمين .. أما بعد:

في زمنٍ كَثُرت فِتَنُهُ، وتَعَدَّدَ للقولِ منابرُه، وسَهُل للضعيفِ فيه أنْ يَتصدَّر، وصَعُبَ للقوي فيه أنْ يؤثِّر، كان لزاماً علينا –معشر الأمة– أنْ نستمسك بالحبل القويم، والصراط المستقيم، وسيرة خير المرسلين ﷺ، وذلك بأساليب عدة، منها: عَرْضُ سيرته ﷺ بأسلوب موجز واقعي يُمْكِنُ من خلاله تطبيق سيرته بأسلوب عملي، يَصلُحُ في كل زمان ومكان، وبحسب الظروف والأحوال.

«إن حياة رسولنا ﷺ كانت تطبيقًا عمليًّا لكل حُكم من أحكام الشريعة، فخَرَجت لنا هذه الحياة في شكلٍ بديعٍ، شمل كل المتغيرات التي من الممكن أن تقابل الفرد أو الجماعة، أو الأمة ككل، قال رسول الله ﷺ: (**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**)[1].

تعامل رسول الله ﷺ في حياته مع كل الطوائف التي من المحتمل أن يتعامل معها المسلمون، ومَرَّ بكل الظروف التي من الممكن أنْ تمر بها الأمة الإسلامية، فهذه ظروف حرب وهذه ظروف سِلم، وهذه فترات قوة وهذه فترات ضعف.

ولقد شهدت السيرة النبوية إعجازًا إلهيًّا واضحًا جليًا في تكثيف كل الأحداث التي من الممكن أن تواجه المسلمين في أي زمان وفي أي مكان، وذلك في ثلاث وعشرين سنة فقط؛ حتى يتحقق التوجيه الإلهي الحكيم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

ولقد تعامل الرسول ﷺ مع كل الأمور التي واجهته بطريقة فذة، وبسُنَّة مطهرة أَخرجت لنا كنوزًا هائلة من فنون التعامل، ومن آداب العلاقات، وبَرز في كل ذرة من ذرات حياته العنصر الأخلاقي، كعنصر مؤثر تمامًا على كل اختيار من اختياراته ﷺ، فلا يخلو –حقيقةً– أيُّ قول أو فعل له ﷺ من خلقٍ كريم، وأدب رفيع، بَلَغَ إلى هذه الذروة، ووصل –بلا مبالغة– إلى قمة الكمال البشري، الأمر الذي

---

[1] رواه ابن ماجه في سننه (٤٣)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، يُنظَر حديث رقم: (٤٣٦٩).

نستطيع أن نفهم منه قوله ﷺ: (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**)[1]»[2].

في هذه الورقات نتناول بين أيدينا موضوعاً من أهم الموضوعات التي نحتاج إليها في زماننا هذا، بل وفي كل الأزمنة، وهو سببٌ لسعادة الأمم، وفي استقرار النفوس، وفي أمان الدنيا، ألا وهو «**خُلُق الرحمة**»، فالرحمة لها شأن عظيم في القرآن والسنَّة، وذلك أنها تَعرِض أعلى مستوى في الرحمة عرفته البشرية، ألا وهي الرحمة في حياة رسول الله ﷺ، والتي جعلها الله ﷻ مقياسًا للناس أجمعين يسيرون خلفها، فإنه ﷻ قال في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

«وإذا أضفنا إلى ذلك أن العالم الآن بشتى طبقاته، وبلاده، وسُكَّانه يعاني من فقدان للرحمة في معظم التعاملات، وفي شتى المجالات، وأصبحت القسوة، والعنف، سمات رئيسية من سمات الحياة، إذا أضفتَ ذلك عَلمتَ أن دراسة الرحمة النبوية تُعد أمرًا ضروريًا للخروج من الأزمات المتلاحقة التي يعانيها العالم في كل مكان.

ويضيف إلى أهمية الموضوع، تلك الهجمات الشرسة التي تستهدف رسولنا العظيم ﷺ، والتي يطلقها الآن الكثير من الغربيين والشرقيين، بل وأحيانًا من أبناء المسلمين العلمانيين، والذين يحزنهم أن يجدوا رسول الله ﷺ قدوة –ليس فقط للمسلمين– ولكن للبشر أجمعين ... وما أشد خسارة البشرية لو جَهلَت قيمة خير مخلوق، وأعظم رسول، وأرحم من سار على هذه الأرض.

إنَّ مهمة المسلمين ثقيلة حقًا، وهي لا تكمن في الدفاع فقط عن الرسول ﷺ، وإن كانت هذه مهمة جليلة، ولكن مهمة المسلمين في الأساس هي التعريف بهذا الرسول الرحيم ﷺ، حتى نستنقذ به الملايين والبلايين ممن عاشوا حياتهم وهم لا يعرفونه، وممن عَبَدَ الله على غير علم، فضَلَّ وأضلَّ»[3].

ومن هنا فإنَّ دور هذا البحث لا يقتصر على تعريف المسلمين بنبيِّهم، وإنما يتخطَّى ذلك إلى نفع البشرية جمعاء بهذا الجانب الرائع من سيرته ﷺ.

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يُخرِّجاه، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم: (٤٥).

[2] يُنظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، أ. د. راغب الحنفي السرجاني، ١١-١٢، ط/٢، رابطة العالم الإسلامي، الرياض، ١٤٣١هـ. (وهو سِفرٌ قَيِّم، أفدتُ منه كثيراً في هذه الورقات).

[3] ينظر: المرجع السابق، ٢١-٢٢.

أولاً: أهداف البحث:

- بيان سعة مفهوم الرحمة.
- التعرف على رحمة النبي ﷺ في تعامله مع المسلمين بطبقاتهم.
- التعرف على رحمة النبي ﷺ في تعامله مع غير المسلمين بأحوالهم ومستوى إيذائهم.

ثانياً: حقيقة الرحمة:

معنى الرَّحْمَة لغةً: الرحمة: من رحمة يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا. ومنها الرَّحِم: وهي عَلاقة القرابة. وقد تطلق الرَّحْمَة، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَة، كإطلاق الرَّحْمَة على الرِّزق والغيث[(١)].

معنى الرَّحْمَة اصطلاحاً: «الرَّحْمَة رقَّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارةً في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة»[(٢)].

وقيل: «هي رِقَّة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه»[(٣)].

وقيل: هي «رِقَّة في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس، أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السُّرور حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر»[(٤)].

ثالثاً: فضل الرحمة في الكتاب والسُنَّة:

إننا لن نستطيع أن نستوعب مفهوم الرحمة في عين رسول الله ﷺ إلا بالرجوع أولاً إلى المصدر الرئيسي الذي كَوَّن هذا المفهوم عنده ﷺ، وهو القرآن.

«إن أول ما يلفت الأنظار في كتاب رب العالمين، أن كل السور فيه –باستثناء سورة التوبة– قد صُدِّرت بالبسملة، وأُلحِق بالبسملة صفتا الرحمن الرحيم، وليس يخفى على أحد أن تصدير كل السور

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ٣٧٥، مادة (رحم)، وينظر مختار الصحاح، للرازي، ٢٠٨، مادة (رأف).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، ١٩٧، ط/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣١هـ.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٤/٢٦)، بدون طبعة، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني (٥/٢)، ط/٥، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ.

بهاتين الصفتين أمر له دلالته الواضحة على أهمية الرحمة في التشريع الإسلامي، ولا يخفى على أحدٍ أيضًا التقارب في المعنى بين الرحمن والرحيم، والعلماء لهم تفصيلات كثيرة وآراء متعددة في الفرق بين اللفظين[1]، وكان من الممكن أن يَجمع الله ﷻ مع صفة الرحمة صفة أخرى من صفاته كالعظيم أو الحكيم أو السميع أو البصير، وكان من الممكن أن يجمع مع الرحمة صفة أخرى تحمل معنى آخر يحقق توازنًا عند القارئ بحيث لا تطغى عنده صفة الرحمة، وذلك مثل: الجبار أو المنتقم أو القهار، ولكن الجمع بين هاتين الصفتين المتقاربتين في كل بداية لسور القرآن الكريم يعطي الانطباع الواضح جدًا، وهو أن الرحمة مُقدَّمَة بلا منازع على كل الصفات الأخرى، وأن التعامل بالرحمة هو الأصل الذي لا ينهار أبدًا، ولا يتداعى أمام غيره من الأصول، ويؤكد هذا المعنى ويُظهره أنَّ أول السور التي نراها في ترتيب القرآن الكريم –وهذا الترتيب توقيفي، بمعنى أن الله ﷻ أوحى لرسوله ﷺ أن يرتب القرآن هذا الترتيب الذي بين أيدينا اليوم مع أن الآيات والسور نزلت بترتيب مختلف[2]– نجد أن أول السور في هذا الترتيب الفاتحة، وأن هذه السورة قد افتُتِحت بالبسملة –وفيها صفتا الرحمن الرحيم– كبقية السور، ثم تجد فيها صفتي الرحمن الرحيم قد تكررتا في السورة ذاتها، وهذا التصدير للقرآن الكريم بهذه السورة بالذات له دلالته الواضحة أيضًا، وكما هو معلوم فسورة الفاتحة هي السورة التي يجب على المسلم أن يقرأها في كل ركعة من ركعات صلاته كل يوم، ومعنى ذلك أن المسلم يردد لفظ الرحمن مرتين على الأقل، ويردد لفظ الرحيم مرتين على الأقل، فهذه أربع مرات يتذكر فيها العبد رحمة الله ﷻ في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهذا يعني ترديد صفة الرحمة في كل يوم (٦٨) مرة في خلال سبعة عشر ركعة تمثل الفروض التي على المسلم، مما يعطيك تصورًا جيدًا لمدى الاحتفال بهذه الصفة الجليلة: صفة الرحمة.

ولم يكن هذا الاحتفال المهيب بهذه الصفة في أول القرآن فقط، ولا في أوائل السور فحسب، ولكنه كان كذلك في كل السور القرآنية، وبشكل لافت للنظر.

ولقد قمتُ بإحصاء عدد المرات التي جاءت فيها صفة الرحمة بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم، وكذلك إحصاء عدد المرات التي تكررت فيها صفة من الصفات الأخرى كالحِلم والعدل وغيرها من الصفات فوجدتُ عجبًا!!

لقد انفردت صفة الرحمة في القرآن الكريم بالصدارة، وبفارق كبير عن أي صفة أخلاقية أخرى، فبينما تكررت صفة الرحمة بمشتقاتها (٣١٥) مرةً، جاءت صفة الصدق مثلاً (١٤٥) مرةً، وجاءت صفة الصبر

---

[1] ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/٣٥٨-٣٥٩)، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

[2] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٦٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت،١٣٩١هـ.

(٩٠) مرة، وجاءت صفة العفو (٤٣) مرة، وجاءت صفة الكرم (٤٢) مرةً، وجاءت صفة الأمانة (٤٠) مرةً، وجاءت صفة الوفاء (٢٩) مرةً، وهكذا! (**انظر شكل: ١**).

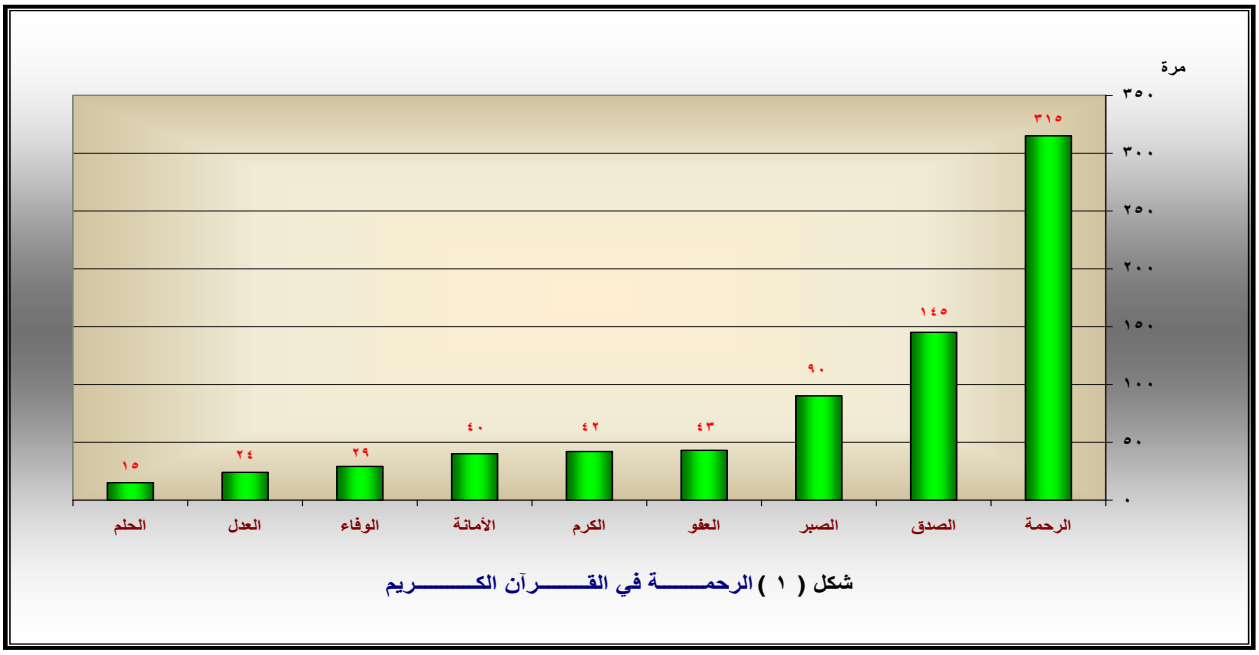

شكل (١) الرحمـــــة في القـــــرآن الكـــــريم

إنَّ هذا ليس مصادفة بحال من الأحوال، وحاش لله ﷻ أن تكون هناك أمور عشوائية في كتاب رب العالمين، فهو الحق الذي لا باطل فيه، وكل كلمة وحرف فيه نزل بقَدَر ولهدف»[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)

«وإذا تتبَّعت دعاء الأنبياء في القرآن لوجدت أن الدعاء بالرحمة قاسم مشترك بينهم جميعًا.

فمن دعاء آدم عليه السلام مثلاً -ومعه زوجته حواء-: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)

ودعاء نوح ﷺ: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (هود: ٤٧)

ودعاء موسى ﷺ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٥)

وحَصْرُ ذلك يصعب ويطول لكثرة تكراره.

---

(١) الرحمة في حياة الرسول ﷺ، أ. د. راغب السرجاني، ٤٥ وما بعدها.

إنَّ هذا كله يُفسِّر لنا الكثير من الأحاديث التي ذكرها رسول الله ﷺ، والتي تصف رحمة ربِّ العالمين، قال رسول الله ﷺ قال: **(إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ)**[1].

فهذا إعلانٌ واضح أن الرحمة مُقدَّمة على الغضب، وأنَّ الرِّفق مُقدَّمٌ على الشدة، وليست هذه الرحمة الغامرة في الدنيا فقط، بل إن الرحمة الأعظم والأشمل ستكون يوم القيامة، وهذا ما بشَّرنا به رسول الله ﷺ عندما قال: **(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ)**[2].

إن الأمر غير متخيَّل فعلاً، والله ﷻ جعل الرحمة يوم خلق السموات والأرض، أي أنه جعلها قبل أن يَصدُرَ أمرٌ إلهيٌّ بأفعال العباد، بل قبل أن يخلقهم أصلاً، وهذا من عظيم فضله، وواسع جوده، بل إن النص القرآني العظيم يشير إلى أن هذه الرحمة قد كتبها ربنا على نفسه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤)، إنها الحقيقة التي لا ريب فيها»[3].

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قَضَى سبحانه أنه بعباده رحيم، لا يَعْجَل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا من الله -تعالى ذِكرُه- استعطاف للمُعرِضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة»[4].

«فإذا أضفنا إلى كل ما سبق أن الله ﷻ وضَّح الهدف من الرسالة والبعثة بأنه رحمة للعالمين، وذلك حين قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، إذا أضفنا هذا المعنى إلى كل ما سبق أدركنا حقيقةَ أنَّ أقوال وأفعال رسول الله ﷺ ما هي إلا ترسيخ لمعنى الرحمة، وما هي إلا تطبيق فريد لهذا الخُلُق العظيم في كل كلمة من كلماته ﷺ، وفي كل حركة من حركاته»[5].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ (٧١١٥)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى (٢٧٥١).

[2] رواه مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى (٢٧٥٣).

[3] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، أ. د. راغب السرجاني، ٤٨ وما بعدها.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٧٣/١١)، تحقيق أحمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٢٠هـ.

[5] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، أ. د. راغب السرجاني، ٤٩.

يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال:

«تشتمل هذه الآية على أربعة وعشرين حرفاً -بدون حرف العطف الذي عطفت به-، وذكر فيها الرسول، ومرسله، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير (رحمة) للتعظيم؛ إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم وإلا لقيل: إلا لنرحم العالمين، أو إلا أنك الرحمة للعالمين، وليس التنكير للإفراد قطعاً لظهور أن المراد جنس الرحمة، وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم. فهذه اثنا عشر معنى خصوصياً ..

وتفصيلُ ذلك يظهر في مظهرين:

الأول: تَخَلُّقُ نفسه الزكية بخُلق الرحمة.

والثاني: إحاطةُ الرحمة بتصاريف شريعته»[1].

قال النبي ﷺ: **(يَا أَيُّها النَّاسُ، إنَّما أَنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)**[2].

إنَّ رسول الله ﷺ ما بُعِثَ إلاَّ لهذا الأمر، بل إنَّ الطبري رحمه الله يرجِّح أن هذه الرحمة تشمل المؤمنين والكافرين، فيقول بعد عرضِه لاختلاف العلماء في قضية اشتمال هذه الرحمة للمؤمنين فقط أم المؤمنين والكافرين، فيقول: «وأَوْلى القولين في ذلك بالصواب: أنَّ الله أرسل نبيه محمدًا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنةَ، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان يَنْزِل بالأمم المكذبة رسلها من قبله»[3].

ويؤكد على هذا الفهم أن الرسول ﷺ لم يُبعَث لقومٍ معينين دون قومٍ آخرين، إنما بُعِث -على خلافٍ ما حدث مع مَن قبله من الأنبياء- إلى الناس عامة.

يقول رسول الله ﷺ: **(وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)**[4].

من هذا المنطلق أيضًا جاءت كلماته في قضية الرحمة عمومية شاملة، تحوي مع قلة ألفاظها معانٍ هائلة، وتشمل مع إيجازها المعجز كل من يعيش على ظهر الأرض.

---

[1] التحرير والتنوير، (١٨/١٦٥).

[2] رواه الدارمي (١٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٩٠)، وينظر: صحيح الجامع رقم (٢٣٤٥).

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥/٥٥٢).

[4] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب التيمم (٣٣٥)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١).

قال رسول الله ﷺ: (**من لا يَرْحَم لا يُرْحَم**)[١].

ويقول ﷺ: (**ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**)[٢].

وكلمة (**مَنْ**) تشمل كل مَن في الأرض.

ويقول كذلك ﷺ: (**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**)[٣].

«إن الرحمة التي ظهرت في كل أقوال وأعمال رسول الله ﷺ لم تكن رحمة مُتكلَّفة، تحدث في بعض المواقف من قبيل التجمل أو الاصطناع، إنما كانت رحمة طبيعية تلقائية مُشاهَدة في كل الأحوال، برغم اختلاف الظروف، وتعدُّد المناسبات.

لقد رأينا رحمته ﷺ مع الكبار والصغار، ورأيناها مع الرجال والنساء، ورأيناها مع القريب والبعيد، بل ورأيناها مع الصديق والعدو.

بل إن رحمته تجاوزت البشر لتصل إلى الدواب والأنعام، وإلى الطير والحشرات..

إننا نرى في سيرته أنه يرحم الهِرَّة، فيُخبِر أن امرأة دخلت النار لقسوتها على هرة!

يقول ﷺ: (**دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ؛ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**)[٤]، ومَرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ببعيرٍ قد لحِقَ ظَهْرُهُ ببطنِهِ، فقالَ: (**اتَّقوا اللهَ في هذهِ البَهائمِ المعجَمةِ، فاركَبوها صالِحةً، وَكُلوها صالحةً**)[٥]، ونَهَى أنْ تُتَّخذ الدواب كراسي، فقال ﷺ: (**ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، وَدَعُوهَا سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ**)[٦]، و(**إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ، فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ**)[٧]. ونَزَلَ النبي ﷺ منزلًا، فأخَذَ رجَلٌ بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فجاءتْ تَرِفُّ على رسولِ اللهِ ﷺ،

---

[١] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١٣)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال (٢٣١٩).

[٢] رواه الترمذي في سننه (١٩٢٤)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر حديث رقم (٣٥٢٢).

[٣] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله (١٢٨٤)، ورواه مسلم: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٩٢٣).

[٤] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٣١٤٠)، ورواه مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٦١٩).

[٥] رواه أبو داود (٢٥٤٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

[٦] رواه أحمد في مسنده (١٥٦٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٠٨).

[٧] رواه أبو داود في سننه (٢٥٦٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

فقالَ: (**أيُّكُم فَجِعَ هذهِ ببيضتِهَا؟**)، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أخذْتُ بيضتها، فقال النبي ﷺ: (**ارْدُدْهُ، رَحْمَةً لها**)[1].

وقال ﷺ: (**مَنْ رَحِمَ ولَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ، رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ القيامَة**)[2].

ونرى في سيرته ﷺ أنه يُخبر عن بَغي غَفَرَ الله لها لتَحرُّك الرحمة في قلبها لكلب!

قال ﷺ: (**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**)[3].

وفيما يلي نستعرض شيئاً من مواقف رحمته ﷺ مع المسلمين وغيرهم.

رؤوفٌ بأمّتِهِ رحيمٌ مُشفِقٌ ... متعطّفٌ بالودِّ للمُتودِّدِ[4]

* * *

---

[1] رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٢)، وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥).

[2] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٩١٥)، وحَسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٨٦٩٧).

[3] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ (٣٤٦٧)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٥).

[4] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ١١٥، ونَسَبَهُ للشاعر عبدالرحيم البرعي.

الفصل الأول:
رحمةُ رسول الله ﷺ مع المسلمين

كان محمدٌ رحيماً بالضعفاء، بشوشاً سهل المعاملة، رقيق القلب

فلور أندريه –مستشرق ألماني–

كان محمدٌ رجلاً يتميز بأقصى درجات الشفقة، ورِقَّة المشاعر

ارين آرمسترونج –كاتبة بريطانية–

لا تكفي المجلَّدات الكبيرة، ولا الأسفار العظيمة للحديث عن رحمته ﷺ بالمؤمنين؛ لأن هذا يعني الحديث عن كل جزئية -صَغُرت أم كَبُرت- في حياته ﷺ، إنها لمهمَّة عسيرة فعلاً أنْ نُلخِّص رحمته في ورقات محدودة، إنما نحتاج حقيقة إلى أعمار وأعمار للاطلاع على مظاهر رحمته ﷺ بأمته المسلمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

لقد بَلَغَت رحمته ﷺ بالمؤمنين سقف الدرجات العالية، والنماذج السامية، والصور المشرقة، فمن ذلك: ما قاله ﷺ: (**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، **فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ**)[1].

وقال ﷺ: (**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**)[2].

وفي لمحات يسيرة، ومقتطفات مُنيرة سأتناول شيئاً من نماذج رحمته ﷺ مع المسلمين، من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول: رحمته ﷺ بالضعفاء.

المبحث الثاني: رحمته ﷺ بالمخطئين والمذنبين.

المبحث الثالث: رحمته ﷺ بالأمة في جانب العبادات.

المبحث الرابع: رحمته ﷺ بعموم الأمة.

فبسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعليه التكلان ..

---

[1] رواه البخاري: كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب الصلاة على من ترك دَيْنًا (٢٢٦٩).

[2] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٢)، ورواه مسلم: كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته (٢٢٨٤)، واللفظ له.

المبحث الأول: رحمته ﷺ بالضعفاء

«كان محمدٌ حَسَنَ الشَّمائل، كثير التواضع»

دون بايرون –باحث أرجنتيني–

سيتم تناول هذا الموضوع من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: رحمته ﷺ بكبار السن والوالدين.

المطلب الثاني: رحمته ﷺ بالأطفال.

المطلب الثالث: رحمته ﷺ بالنساء.

المطلب الرابع: رحمته ﷺ بالخدم والرقيق.

المطلب الخامس: رحمته ﷺ بالفقراء.

* * *

المطلب الأول: رحمته ﷺ بكبار السن والوالدين:

قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**)[1].

وجاء شيخ ذات يوم يريد النبي ﷺ، فأبطأ القوم أنْ يُوسِّعوا له، فَرَقَّ له رسول الله ﷺ ورَحِمَه، وقال: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**)[2].

---

[1] رواه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود، وينظر: صحيح الجامع، رقم: (٢١٩٩).

[2] رواه الترمذي (١٩١٩)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر: حديث: (٥٤٤٥).

بل بَلَغ الأمر إلى نهيه ﷺ الإطالة في الصلاة لمراعاة الضعيف والكبير وذا الحاجة، كما روى أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وفيه أن رجلاً قال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظة أشدَّ غضبًا منه يومئذٍ، ثم قال: **(يَا أَيُّها النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ)**[1].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول له: إني جئتُ أبايعك على الهجرة، ولقد تركْتُ أبويَّ يَبْكِيان، فقال رسول الله ﷺ: **(ارْجِعْ إِلَيْهِما، فَأَضْحِكْهُما كما أَبْكَيْتَهُما)**[2].

المطلب الثاني: رحمته ﷺ بالأطفال:

ما أَبلَغ ما قاله أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يصف رحمة رسول الله ﷺ بالأطفال إذ قال: **(مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**[3].

ومن ذلك: ما روى أبو قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يُصَلِّي وهو حامل أُمَامَة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ فإذا سَجَدَ وضعها، وإذا قام حملها[4].

بل وزادت رحمته ﷺ بالأطفال أنْ جعلته يطيل أو يُقصِّر من صلاته بحسب راحتهم !

قال شداد بن الهاد الليثي رضي الله عنه: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتَي العشاء، وهو حامل حَسَنًا أو حسينًا، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلَّى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: **(كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ)**[5].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود (٧٠٤)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٤٦٦).

[2] رواه أبو داود (٢٥٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ينظر: حديث رقم: (٢٤٨١).

[3] رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٢٣١٦).

[4] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية على عنقه في الصلاة (٥١٦)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (٥٤٣).

[5] رواه النسائي (١١٤١)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

وعلى النقيض من هذا نجده يُخفِّف صلاته إذا سَمِعَ بكاء طفل، قال رسول الله ﷺ: (**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**)[(١)].

ولم تكن مواقف اهتمامه ورحمته للأطفال بالمواقف العابرة التي تحدث على فترات متباعدة، بل كانت متكررة جدًا، لدرجة أن الأطفال كانوا دائمًا في استقباله إذا جاء من سفر ليلاعبهم ويداعبهم، وكأنه ليس أَمامه من الهموم والمشاغل غيرهم! يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: (**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ**)[(٢)].

بل إنه عندما دخل مكة فاتحًا استُقْبِل أيضًا بالأطفال، فلم يمنعه الموقف المهيب، ولا الوضع العسكري الخطير، من أن يتلطف معهم، بل ويحملهم! يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (**لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، اسْتَقْبَلَتْهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ!**)[(٣)].

«وهذا مِن كمال رحمتِه ﷺ ولطفِه بالصغار وشفقته عليهم، وهو تعليمٌ منه للأمة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار»[(٤)].

المطلب الثالث: **رحمته ﷺ بالنساء**:

كان رسول الله ﷺ دائم الوصية بالنساء، وكان يقول لأصحابه: (**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**)[(٥)]، «وتكررت منه نفس النصيحة في حجة الوداع، وهو يخاطب الآلاف من أمته، وكان يوقن أن هذه الوصية من الأهمية بمكان حتى يُفرد لها جزءًا خاصًا من خطبته في هذا اليوم العظيم»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب من أَخَفَّ الصلاة عند بكاء الصبي (٦٧٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (٢٤٢٨).

(٣) رواه البخاري كتاب أبواب العمرة، باب استقبال الحاج القادمين والثلاثة على الدابة (١٧٠٤).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم، ١٠٤، ط/٣، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٣٥هـ.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء (٥١٨٦)، ورواه مسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر (١٤٦٦).

(٦) الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٩٠.

وقال ﷺ: (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**)[1].

ويوضح رسول الله ﷺ في جملة بلاغية رائعة أن النساء يُماثِلن الرجال في القدر والمكانة، ولا ينتقص منهن أبدًا كونُهنَّ نساء فيقول: (**إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**)[2].

ويقول ابن الأثير رحمه الله: (**شَقَائِقُ الرِّجَالِ**) بمعنى نظرائهم وأمثالهم[3]، بل إن رسول الله ﷺ يأمر المسلمين بعدم كراهية النساء حتى لو كانت هناك بعض الأخلاق المكروهة فيهن، فيقول: (**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**)[4].

اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها -ابنته- عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: (**كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنْ الرَّجُلِ؟**)، قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا**)[5].

وأحيانًا تخطئ زوجته خطأً كبيرًا، ويكون هذا الخطأ أمام الناس، وقد يسبب ذلك الإحراج له ﷺ، ومع ذلك فمن رحمته يُقدِّر موقفها، ويرحم ضعفها، ويعذر غيرتها، ولا ينفعل أو يتجاوز، إنما يتساهل ويعفو، فقد روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان عِنْدَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَتْ أُخْرَى بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ يَدَ الرَّسُولِ فَسَقَطَتْ الْقَصْعَةُ، فَانْكَسَرَتْ فَأَخَذَ ﷺ الْكِسْرَتَيْنِ فَضَمَّ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ، وَيَقُولُ: (**غَارَتْ أُمُّكُمْ، كُلُوا**)، فَأَكَلُوا، فَأَمْسَكَ حَتَّى جَاءَتْ بِقَصْعَتِهَا الَّتِي فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الرَّسُولِ وَتَرَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْهَا[6].

---

[1] رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر حديث: (٣٣١٤).

[2] رواه الترمذي (١١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر حديث: (١٩٨٣).

[3] عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي (١/٢٧٥)، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

[4] رواه مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٩).

[5] رواه أبو داود (٤٩٩٩)، وأحمد (١٨٤١٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[6] رواه البخاري: كتاب المظالم، باب إذا كسر قصعة أو شيئًا لغيره (٢٣٤٩).

وتمتدُّ رحمته ﷺ للمرأة -بما يعتريها من ظروف- بعظيم الرعاية بها، كما قال ﷺ: (**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**)[1].

وقال عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان لا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين؛ فيقضي لهما حاجتهما[2].

يقول واصف بطرس غالي -مُفكِّر مسيحي مصري-: «لقد عَمِلَ محمد جهد طاقته لتحرير النساء، وكان ذلك بالقدوة الحسنة التي اسْتنَّها»[3].

المطلب الرابع: رحمته ﷺ بالخدم والرقيق:

في هذا المطلب نلحظ لوناً آخراً مُهمًّا من ألوان رحمتِه ﷺ، وهو رحمتُه ﷺ بضعيفٍ ظاهر، وهو ضعيف الخدم والرقيق.

قال رسول الله ﷺ: (**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**)[4].

ويقول عليه الصلاة والسلام: (**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**)[5].

وفي موقف يثبت أن هذا الكلام كلامٌ واقعي له تطبيق في حياة الناس يروي أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه فيقول: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: (**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**)، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: (**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، -أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ-**)[6].

وكان من آخر وصاياه للمسلمين: (**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**)[7].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (٥٣٥٣)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب الزهد والرقاق، باب الإحسان على الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٢).

[2] رواه النسائي (١٤١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر: حديث رقم: (٥٠٠٥).

[3] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٩٠.

[4] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٠)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦١).

[5] رواه مسلم: كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده (١٦٥٧).

[6] رواه مسلم: كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده (١٦٥٩).

[7] رواه ابن ماجه (١٦٢٥)، وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ينظر حديث رقم: (٨٦٨).

وتقول عائشة رضي الله عنها: (**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)[1].

المطلب الخامس: رحمته ﷺ بالفقراء:

وهذه من الرحمات التي لها عناية بالغة عند رسول الله ﷺ:

فمن الأمثلة على ذلك: ما أوصى به رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه، حين قال له: (**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**)[2].

وكان ﷺ يأمر النساء أن يتصدقن على جيرانهن ولو بشيء قليل، قال ﷺ: (**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**)[3].

ويروي جرير بن عبد الله رضي الله عنه فيقول: (جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة؛ فحَثَّ الناس على الصدقة؛ فأبطؤا عنه حتى رُؤِيَ ذلك في وجهه)، قال: (ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصُرَّةٍ من وَرِقٍ، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عُرِفَ السرورُ في وجهه؛ فقال رسول الله ﷺ: (**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**)[4].

كان محمد لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضَّل عليه بما لديه[5].

* * *

---

[1] رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حُرُمَاته (٢٣٢٨).

[2] رواه مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب الوصية إلى الجار والإحسان إليه (٢٦٢٥).

[3] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الهِبَة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل الهِبَة (٢٥٦٦)، ورواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بقليل (١٠٣٠).

[4] رواه مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (١٠١٧).

[5] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ١٠٠، نقلا عن الأخلاق، إيفلين كوبولد –شاعرة إنجليزية–، ٦٦.

المبحث الثاني: رحمته ﷺ بالمخطئين والمذنبين

قال النبي ﷺ: (**ارحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ**).

رواه الإمام أحمد (٦٥٤١)، وصَحَّحَهُ الألباني في صحيح الجامع (٨٩٧).

قال رسول الله ﷺ: (**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**)[١].

يقول مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ؛ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ؛ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ؛ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي؛ قَالَ: (**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**)[٢].

يروي أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: (**مَا لَكَ؟**) قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**) قَالَ: لَا، قَالَ: (**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**) قَالَ: لَا، فَقَالَ: (**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**) قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ -وَالْعَرَقُ: الْمِكْتَلُ- قَالَ: (**أَيْنَ السَّائِلُ؟**) فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: (**خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ**)؛ فَقَالَ الرَّجُلُ:

---

[١] رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ينظر حديث رقم: (٣١٣٩).

[٢] رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (٥٣٧).

أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا -يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: (**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**)[1].

وموقف آخر عجيب:

إنه موقف رجل أفشى سرًّا عسكريًّا خطيرًا للدولة الإسلامية، كان من الممكن أن يكون له أشد الأثر على أمنها واستقرارها!

إنه موقف حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسل رسالة إلى مشركي مكة يخبرهم فيها أن رسول الله ﷺ قد جهَّز جيشًا لفتحها، مخالفًا بذلك أوامر القائد الأعلى للمسلمين رسول الله ﷺ، ومُعرِّضًا جيش المسلمين لخطر عظيم!!

كيف يكون رد الفعل المناسب في أية دولة في العالم؟!

إن القتل هنا عقاب مقبول جدًا مهما كانت ملابسات الحدث، وهذا ما رأينا بعض الصحابة رضي الله عنهم يقترحه، لكن ماذا فعل رسول الله ﷺ؟!

إنه بعد أن أمسك بالخطاب الخطير، وعلم ما فيه أرسل إلى حاطب رضي الله عنه، وسأله في هدوء: (**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟**)، قَالَ حَاطِبُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ؛ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**)، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ: (**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؛ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**)[2].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتُصُدِّقَ عليه فليُكَفِّر (١٩٣٦)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان (١١١١).

[2] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس (٣٠٠٧)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر (٢٤٩٤).

«إنَّ المبرِّر الذي ذَكَره حاطب قد لا يقبله الكثيرون، بل إنَّ عمر بن الخطاب ﷺ -وكُلُّنا يَعْلَمُ ورَعَه وفطنته وعدله- لم يقبله، ورأى أنْ يُقتَل بهذا الجُرم، فكيف يسوغ أن يحاول حماية أهله على حساب جيش كامل، ثم كيف يعصي أمرًا مباشرًا لرسول الله ﷺ؟!

ومع كل هذا إلا أن رسول الله ﷺ رَحِمَه رَحْمة واسعة، وقَبِلَ منه عُذره في صفح عجيب، وعَذَرَه، ولم يوجه له كلمة لوم أو عتاب، بل إنه رفع من قدره، وقال لعمر ﷺ -وعمر يعلم ذلك-: (**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؛ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شئتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**)

إن العدل شيءٌ، والرحمة شيء آخر..

إن العدل قد يقتضي أن يُعَاقَب حاطب بن أبي بلتعة بصورة أو بأخرى، ولكنَّ الرحمة تقتضي النظر إلى الأمر بصورة أشمل، فنرى مَن الذي فعل الفعل، وما هو تاريخه، وما هي سوابقه المماثلة، وما هي أعماله السالفة، وهل هو من أهل الخير أم من أهل الشر، وما هي الملابسات والخلفيات لهذا الحدث.

إن الرحمة تقتضي عدم الانسياق وراء عاطفة العقاب، ولكن البحث الحثيث عن وسيلة تخرج صاحب الأزمة من أزمته..

العدل درجة عظيمة .. ولكن الرحمة أعظم! »[1].

وتأمل إلى حرص النبي ﷺ إلى عدم تصيُّد الأخطاء والفرح بها، بل يتغاضى عن الأمر تماماً إن لم تكن البيِّنة واضحة، والدليل كافياً، فالشريعة لا تتشوف لإقامة الحدود، ولا تتعجل بالتعزير، بل رأينا كيف التمس رسول الله ﷺ مخرجاً لحاطب ﷺ، مع عظيم ذنبه.

وانظر مثلاً في قصة ماعِز بن مالك ﷺ مع صاحبه هزَّال، -وهو الذي دفع ماعز إلى الاعتراف بجريمة الزنا-، فلما أصرَّ ماعز على الاعتراف بالجريمة رجمه رسول الله ﷺ؛ لأنَّ ماعزًا كان محصنًا، لكن رسول الله ﷺ لم يدع الأمر يمر دون أن ينصح لهزَّال -والأمة من بعده- قائلاً: (**وَاللهِ يَا هَزَّالُ، لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا مِمَّا صَنَعْتَ بِهِ**)[2].

قال رسول الله ﷺ: (**تَعَافَوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ**)[3].

---

[1] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ١٢٦.

[2] رواه مالك في الموطأ برواية يحيى الليثي (١٤٩٩)، وبرواية محمد بن الحسن الشيباني (٧٠٠)، وأحمد (٢١٩٤٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

[3] رواه أبو داود (٤٣٧٦)، وغيره، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود.

قال السيوطي رحمه الله تعليقًا على هذا الحديث: «أي تجاوزوا عنها ولا ترفعوها إليَّ؛ فإني متى علمتها أقمتها»[1].

وتأمل أيضاً –إتماماً لدروس قصة ماعز رضي الله عنه– كيف سعى رسول الله ﷺ في إيجاد مخرج لصنيع ماعز رضي الله عنه لما جاءه، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي، فَقَالَ: (**وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ**)، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ**)، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: (**فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟**) فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى؛ فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَبِهِ جُنُونٌ؟**) فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ [قالوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى][2]، فَقَالَ: (**أَشَرِبَ خَمْرًا؟**) فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَزَنَيْتَ؟**) فَقَالَ: نَعَمْ[3].

وفي رواية أخرى حاول رسول الله ﷺ أن يجد له مخرجاً حتى بعد اعترافه بالزنى، فقال رسول الله ﷺ له: (**لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ؟**) قَالَ: لَا[4].

إننا أمام قصة مليئة بالدروس والعبر، فما أحوج الدعاة إلى الله أنْ يسيروا خلف هذا الصراط المبين، الذي جعله الله رحمة للعالمين ﷺ.

ومما ينبغي أن يُعلَم أن «الحدود شُرِعَتْ رحمةً بالمجتمع، وترهيبًا لعموم الناس أن ينخرطوا في طريق الجريمة، وهذه رحمة بهم أيضًا من وجه آخر، ثم هي كَفَّارة عن الذنب الذي فعله العبد، ومن ثم يُهَوِّن عليه من حساب الآخرة وهو أَشَقُّ وأَشَدُّ [5] فهي رحمة بالإنسانية، ولم يكن الفرض من الحدود قسوة بإنسان، أو تشهير بمذنب»[6].

---

[1] نَقَلَ هذا القول محمد شمس الحق العظيم آبادي، في عون المعبود في شرح سنن أبي داود (٢٧/١٢).

[2] زيادة عند مسلم: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٥)

[3] رواه مسلم: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٥).

[4] رواه البخاري: كتاب المحاربين من أهل الكفر والرِّدَّة، باب هل يقول الإمام للمُقِرِّ: لعلك لمست أو غمزت (٦٣٢٤).

[5] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ١٢٨.

[6] المرجع السابق، ١٣٤.

يروي أنس بن مالك ﷺ فيقول: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[1].

التفتَ إليه وهو يضحك!؛ لأن هدْيَهُ ﷺ عدم الانتصار للنفس، بل ينتصر للدين فقط، فتغافَلَ عن جفاءِ أسلوبه، وغلْظَة كلامه، والتفت إلى ما يريد، بعين الشفقة، وزاوية الرحمة، فلهذا هو رحمة للعالمين.

ولعل من المناسب أن نختم هذا المبحث بموقف جليل رواه أبو هريرة ﷺ حيث ذَكر أنَّ رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا**)، ثُمَّ قَالَ: (**أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: (**أَعْطُوهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**)[2].

فانظر كيف يَرسم ﷺ للناس خطواتٍ يَشعُّ من وضوحها نور الحق، مع أن المتقاضي أغلظ عليه !

«ينبغي أنْ يؤخذَ المبتدِع والمخالف بالرحمة والإحسان، لا بالتشفِّي والانتقام»[3].

رَسولٌ أَتَى للخلْقِ أَجْمَعَ رَحمَةً ... وجاء بِنُورٍ للأنامِ وفُرقانِ[4]

* * *

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الخمس، باب ما كان للنبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٣١٤٩)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة رقم (١٠٥٧).

[2] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب استقراض الإبل (٢٢٦٠)، ورواه مسلم: كتاب المساقاة، باب من استلف شيئا فقضى خيرًا منه (١٦٠١).

[3] يُنظر: منهاج السُّنَّة النبوية، لابن تيمية (٥/٢٣٩).

[4] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٥٧. ويُنسَب للشاعر الأندلسي إبراهيم بن الحاج النميري.

المبحث الثالث: رحمته ﷺ بالأمة في جانب العبادات

«كان محمد أذكى وأَدْيَن وأَرْحَم
إنسان عرفه التاريخ»
إدوار مونتيه -مستشرق وفيلسوف فرنسي-

«يُخطِئ كثير من الناس -من المسلمين ومن غير المسلمين- في تصوُّرِ أنَّ المسلم المتدين الملتزم هو مسلم مُتشدِّد في جانب الصلاة والصوم وغيرهما من جوانب العبادة المختلفة، ويخطئون كذلك في اعتقاد أن المسلم الذي يأتي رخصة من الرخص في الدين هو مسلم مُفرِّط مُقصِّر يحتاج إلى تربية وإصلاح! إن هذه المفاهيم -ولا شك- دخيلة على الإسلام، وتتنافى مع مبدأ الرحمة التي بُعِثَ بها رسول الله ﷺ، والقاعدة الشرعية الرائعة التي تحكم عبادات الناس وحياتهم هي ما جاءت في كتاب رب العالمين واضحة نقية، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)

وهذا واضح في كل أحكام الشريعة، ولقد حرص الرسول ﷺ عليه في كل خطوات حياته، وفي كل كلماته وأفعاله»[(١)].

ومن النماذج على ذلك:

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ؛ فَقَالَ: (**مَا هَذَا الْحَبْلُ؟!**) قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**)[(٢)].

---

(١) الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني ، ١٤٧.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري: كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة (١١٥٠)، واللفظ له، ورواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أَمْر من نعس في صلاته أو استَعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد (٧٨٤).

ومنه قوله ﷺ: (**إذا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ الليلِ فَاسْتَعْجَمَ القرآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ**)[1]، والقاعدة النبوية في العبادات: (**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**)[2].

جاء عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ يستفسر منه في المدَّة الأمثل لختم القرآن، فقال: فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي شَهْرٍ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي عِشْرِينَ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي عَشْرٍ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي خَمْسٍ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَمَا رَخَّصَ لِي[3].

فتأمل كيف نَظَرَ رسول الله ﷺ إلى نشاط عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بعين الرحمة، لا بعين العاطفة؛ لأن رسول الله ﷺ يريد من هذا النشاط أن يغتنمه في دوام العمل وإنْ قَلَّ، فاستمرارية العمل مع قِلَّته، أولى من قِصَر مدته مع كثرته.

ومن النماذج على رحمته ﷺ في جانب العبادات:

أنه رسول الله ﷺ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنْ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: (**قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**)، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ[4].

إن المرء لا يملك عند رؤية هذه المواقف وأمثالها إلا أن يقول ما قاله رب العالمين سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧).

* * *

---

[1] رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أَمْر من نعس في صلاته أو استَعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد (١٣٠٢).

[2] رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (٢٨١٨).

[3] رواه مسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقًّا، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم (١١٥٩).

[4] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٩)، ورواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦١).

المبحث الرابع: رحمته ﷺ بعموم الأمة

«أيُّ إنسانٍ بَلَغَ من مراتب الكمال مثلَ ما بَلَغَ محمد»

لاماتين –شاعر وأديب فرنسي–

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ)[1]، وفي رواية: (وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ مَا خَفَّ عَلَى النَّاسِ مِنْ الْفَرَائِضِ)[2].

ومن ذلك قوله ﷺ: **(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)**[3]، ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ: **(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَلَأَخَّرْتُ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ)**[4].

ومنه قوله ﷺ: **(إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ)**[5].

وكذلك قوله ﷺ: **(إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ)**[6].

وهذه بعض النماذج المشرقة لرحمته بأمته ﷺ، وحِرصه على توحيدها ولمِّ شملها.

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٨)، ورواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى (٧١٨).

[2] رواه أحمد (٢٤٦٠٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[3] رواه البخاري: كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم، ولم يذكر له رقمًا.

[4] رواه الترمذي في سننه (٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ينظر حديث رقم: (٥٣١٦).

[5] رواه أحمد (٢٢٨٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ينظر حديث رقم: (٣٨٩).

[6] رواه أحمد (٢٧٥٢٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

«جَعَلَ مُحَمَّد مِن مختلف القبائل المتقاتلة أمَّة واحدة»[١].

فَلَأَنْتَ فِينا نِعمَةٌ بَلْ رَحمَةٌ ... يا أحمَدَ المَحمُودُ باسْتِحْقَاقِ[٢]

* * *

[١] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ١٨٢، نقلاً عن حياة محمد، إميل درمنغم –مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر – تعريب عادل زعيتر، ١٨٣.

[٢] المرجع السابق، ١٧٩، ونَسَبَهُ إلى إبراهيم الأكرمي –شاعر سوري–.

الفصل الثاني:
رحمة رسول الله ﷺ مع غير المسلمين

«كان محمد الحاكم المتسامح والحكيم»

مكسيم رودنسون -مستشرق فرنسي-

«كان مُحمَّد شديد التسامح،

وبخاصة نحو أتباع الأديان الأخرى»

لورافيشيا فاغليري -باحثة إيطالية-

«إنَّ الأُمَم لم تَعرِف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب،

ولا دِيناً سمحاً مثل دينهم»

غوستاف لوبون

إن النفس الإنسانية بصفة عامة مُكَرَّمةٌ ومُعَظَّمَة، ولها عناية بالغة في الإسلام، وهذا الأمر على إطلاقه، يشمل جميع طوائف الناس وألوانهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، بل أُمرنا بالإحسان إلى الناس باختلاف أديانهم –باستثناء الحربيين–، كما قال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، قال عطاء رحمه الله: دَخَلَ في هذه الآيةِ اليهودُ والنصارى، فكيف بالحنيفيِّ؟![1].

عن ابن أبي ليلى، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَقَالا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: **(أَلَيْسَتْ نَفْساً)**[2].

«قد يَحلُم البعض إلى أن يصل تعامل الناس بأطيافهم –ولو في موقف من المواقف– إلى درجة الألفة والإحسان والرحمة؛ فتُتَبادل الابتسامات –وأحيانًا الهدايا– ويَسُود جوٌّ من الهدوء النسبي والأمان.

لكن أنْ يصبح الإحسان إلى المخالفين، والبر بالمعارضين، والرحمة بهم قانونًا أصيلاً يُتَّبَعُ في غالب مظاهر الحياة، فهذا ما لا يخطر على بال أحد!

هذا هو الإسلام الذي لا يعرفه كثير من العالمين، بل قد لا يعرفه كثير من المسلمين!»[3].

«إذا بحثنا عن محمد إجمالياً نجده يتَّصف بالرحمة الخالصة»[4].

في ختام هذه الورقات سأتناول شيئاً من الرحمة النبوية بغير المسلمين، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: رحمته ﷺ مع غير المسلمين.

المبحث الثاني: رحمته ﷺ بمن آذاه من غير المسلمين.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/٢٣٣)، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٣٤هـ.

[2] رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب القيام للجنائز حديث رقم (٩٦١).

[3] ينظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٢٣٣.

[4] المرجع السابق، نقلاً عن الإسلام، هنري ماسيه –مستشرق فرنسي–، ٥٥، ترجمة بهيج شعبان، عويدات، بيروت، ١٩٨٨م.

المبحث الأول: رحمته ﷺ بغير المسلمين

«كان مُحمَّد دائماً يَعمَل على حقن الدِّماء»

هيدلي لورد إنجليزي

إنَّ أعظم ما يميز رحمته ﷺ أنها تشمل الناس أجمعين، بل حتى من آذاه من المخالفين.

رأى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**)، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْهَا حُلَلٌ فَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مِنْهَا حُلَّةً؛ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَوْتَنِيهَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا**)؛ فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا[1].

يقول الإمام النووي رحمه الله معلقًا على هذا الموقف: «وفي هذا دليلٌ لجواز صلة الأقارب الكفار والإحسان إليهم، وجواز الهدية إلى الكفار»[2].

وهذا أنس رضي الله عنه يروي موقفاً عجيباً من مواقف رسول الله ﷺ، فيقول: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ؛ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ؛ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: (**أَسْلِمْ**)؛ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؛ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ؛ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ**)[3].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد (٨٨٦)، ورواه مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة (٢٠٦٨).

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣٩/١٤)، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

[3] رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه؟ وهل يُعرَض على الصبي الإسلام؟ (١٢٩٠).

وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تحكي فتقول: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: (**نَعَمْ صِلِيهَا**)[1].

وما مُحمَّدٌ إلَّا رَحمَةٌ بُعِثَت ... للعالَمينَ وفَضلُ اللَّهِ مَبذُولُ[2]

وأَنَّ أحمدَ خيرُ الرُّسلِ رحمتُهُ ... للعالمينَ ففيها الكلُّ مشمولُ[3]

ظَلَّ رسول الله ﷺ على منهج الرحمة للناس أجمعين بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإن آذوه، وإن تركوه وأعرضوا عنه، فالعبرة بالبلاغ، لا بالاستجابة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ (الشورى: ٤٨)، وقوله جل جلاله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ (الغاشية: ٢١ – ٢٢)، ووعَدَ مَن آمن بالله ولم يُشرك به شيئاً؛ بمُلْكِ الدنيا، قبل نعيم الآخرة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ؛ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: (**إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**)؛ قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟! قَالَ: (**كَلِمَةً وَاحِدَةً**) قَالَ: (**يَا عَمِّ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)؛ فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ؛ قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمْ الْقُرْآنُ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾[4].

«ومِن رحمتِه ﷺ معهم أنه كان لا يتعلَّل أبدًا بقسوتهم وظلمهم وصدِّهم ليبرر به تجنيًا على حقوقهم أو ظلمًا لهم. إن العدل والرحمة في الإسلام أمران مطلقان لا يتأثران بجنس أو لون أو دين، كذلك لا

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين (٢٤٧٧، ٥٦٣٤، ٣٠١٢)، ورواه مسلم: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين (١٠٠٣).

[2] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٢٢١، ونَسَبَهُ إلى شرف الدين البوصيري –شاعر مصري–.

[3] الرجع السابق، ٢١٧، ونَسَبَهُ إلى يوسف النبهاني –شاعر فلسطيني–.

[4] رواه أحمد (٢٠٠٨)، ورواه الترمذي (٣٢٣٢)، وصححه أحمد شاكر (٥/١٤٠).

يتأثران بعاطفة معيَّنة، أو بظروف خاصة، فليس هناك مبرِّر أبدًا للظلم، وكذلك ليس هناك مبرِّر أبدًا للقسوة»[1].

غَمَرَ البَرِيَّةَ عَدلُهُ فَصَدِيقُهُ ... وعَدُوُّهُ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلا[2]

ومِن وصاياه ﷺ لأمَّته: (**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**)[3].

وفي رواية أخرى للإمام أحمد رحمه الله قال ﷺ: (**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا؛ فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**)[4].

* * *

[1] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٢٤٣.

[2] المرجع السابق، ٣٩٤، ونَسَبَهُ إلى شرف الدين البوصيري.

[3] رواه أحمد (١٢٥٧١)، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٧٦٧).

[4] رواه أحمد (٨٧٨١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٩)، وانظر (٣٣٨٢) في صحيح الجامع.

المبحث الثاني: رحمته ﷺ بمن آذاه من غير المسلمين

«كان مُحمَّد يَعفو عند المقدرة»

مارسيل بوازار -مفكر وقانوني فرنسي-

في هذا المبحث نحن أمام مواقف كثيرة، وأمثلة متعددة، لمن آذى رسول الله ﷺ من غير المسلمين، ولكن العجب ليس في كثرتها، بل في كيفية تعامل النبي ﷺ معها.

من النادر أن نرى من يُساء إليه —خاصة لمن أُوذي جسدياً- أنْ يكظم غيظه، ويصفح عنه، ويقابل ذلك بإحسان، بل نجد سرعة الانتصار للنفس، وعدم التغافل والصفح، إلَّا من رحم ربي، وما يلقَّها إلا ذو حظٍّ عظيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت: ٣٤ – ٣٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما فِي تَفْسِير هَذِهِ الْآيَة: «أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عِنْد الْغَضَب، وَالْحِلْم عِنْد الْجَهْل، وَالْعَفْو عِنْد الْإِسَاءَة، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمْ اللَّه مِنْ الشَّيْطَان، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيّ حَمِيم»[1].

«كان محمد في الدرجة العليا من شرف النفس»[2].

تقول عائشة رضي الله عنها فتقول: دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا؛ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ**

---

[1] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١١٩/٤)، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ.

[2] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٢٤٧، نقلاً عن تاريخ العرب، كليمان هوار —مستشرق فرنسي-.

الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ) (وفي رواية: **وإيَّاكِ والعُنْفَ والفُحْشَ)**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ)**[1].

مِثْلَ الهِلَالِ مُبَارَكًا ذَا رَحْمَةٍ ... سَمْحَ الخَلِيقَةِ طَيِّبَ الأَعْوَادِ[2]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُصَلِّي عَلَيْهِ؟ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ، فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ، قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[3].

ومن نماذج رحمته بمن آذاه من المشركين: قصته مع سهيل بن عمرو:

«كان من كبار زعماء قريش بل مكة، وكان من الزعماء الذين لهم تاريخ أسود وطويل مع رسول الله ﷺ، وكان من كبار السن، وله من الأولاد الكثير، وكان معظم هؤلاء الأولاد في جيش المسلمين الفاتح لمكة، وبعد الفتح، فرَّ من رسول الله ﷺ، ودخل بيته، وكما يقول: فانْقَحَمْتُ في بيتي، وأغلقتُ عليّ بابي!، ثم يقول: وأرسلتُ إلى ابني عبد الله بن سهيل -وهو من جنود الجيش الإسلامي الفاتح- أن اطلب لي جوارًا من محمد، فإني لا آمن من أن أُقتل، فليس أحد أسوأ أثرًا مني؛ فإني لقيت الرسول ﷺ يوم الحديبية بما لم يلقه أحد، وكنت الذي كاتبته، مع حضوري بدرًا وأُحُدًا ضد المسلمين»[4].

---

[1] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٦٠٢٤)، واللفظ له -ورواه في أكثر من موضع-، ورواه مسلم: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُرَد عليهم (٢١٦٥).

[2] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٣٦٦، ويُنسَب لشاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه.

[3] متفق عليه: رواه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ (٤٦٧٠)، ورواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٤٠٠).

[4] ينظر: أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٣٤٦/٢)، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت، بدون سنة الطباعة.

يقول سهيل بن عمرو: ذهب عبد الله بن سهيل إلى الرسول ﷺ وقال له: يا رسول الله، أَمِّنْهُ، فقال ﷺ دون تردد: **(نَعَمْ، هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ، فَلْيَظْهَرْ)**[1].

بل لم يَكْتَفِي بإعطاء الأمان له، بل يَحُضُّ الجميع على احترامهم، وعدم التعرُّض له بكلمة جارحة، ولا حتى بنظرة مؤذية، فيقول ﷺ لأصحابه في رُقِيٍّ عجيبٍ، وفي أدبٍ رفيعٍ: **(مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلَا يَشُدَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ)**[2]!

إنَّ الرسول ﷺ يمنع الصحابة مِن أنْ يُشدِّدوا النظر إلى سهيل بن عمرو شماتةً فيه، أو تشفِّياً منه! بل إنه يفعل ما هو أعظم من ذلك، فيمدح سهيلاً، ويُثني عليه، فيقول ﷺ لأصحابه: **(فَلَعَمْرِي إِنَّ سُهَيْلاً لَهُ عَقْلٌ وشَرَفٌ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الْإِسْلَامَ، لَقَدْ رَأَى مَا كَانَ يُوضَعُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِنَافِعٍ)**[3].

وانطلق عبد الله بن سهيل إلى أبيه ليخبره بعفو الرسول ﷺ عنه، فلما ذكر له هذه الكلمات، قال سهيل: كان والله بارًّا صغيرًا وكبيرًا !![4]

وتوجه سهيل بن عمرو إلى الرسول ﷺ وأسلم بين يديه، وتغَيَّرت حياته كليَّةً بعد هذا اليوم، وكان – كما يقول الرواة– كثير الصلاة والصوم والصدقة، وخرج مجاهدًا في سبيل الله، بل كان أميرًا على إحدى فرق المسلمين في موقعة اليرموك.

فانظر إلى رحمته وجميل فعله ﷺ، وكيف كان يحوِّل حياة الناس إلى ما لا يتخيله أحد، وذلك بحسن المعاملة، وسعة الصدر، ونسيان الضغائن والأحقاد»[5].

عَمَّ الرَّعِيَّةَ والأَجْنَادَ مَعْدِلَةً فما شَكَا نَفَرٌ مِنْ عَدْلِهِ نَفَرُ[6]

«إنَّ مِن أَجلِّ الصفات البشرية في محمد العدالة والرحمة»[7].

---

[1] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٥٧/٣)، والإصابة، لابن حجر (٢١٩/٣)، طُبِعا سوياً، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة الطباعة.

[2] ينظر المصدرين السابقين.

[3] أُسْدُ الغابة، لابن الأثير (٣٤٦/٢)، و الاستيعاب، لابن عبدالبر (٢٢٩/٢).

[4] الاستيعاب، لابن عبدالبر (٥٧/٣)

[5] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني ، ٣٥٢ وما بعدها.

[6] المرجع السابق، ٢٣١، ونسبه إلى شرف الدين البوصيري.

[7] المرجع السابق، ٣٥٤، نقلاً عن الشرقيون وعقائدهم، برتلي سانت هيلر –مستشرق ألماني–، ١٨.

وهذا فُضَالَةُ بن عمير مِن أشدِّ أعداء الرسول ﷺ، ووصل حقده على الرسول ﷺ إلى الدرجة التي أراد معها أن يقتله في وقت فتح مكة !!

لقد ادَّعى فُضالة الإسلام ليأمن المسلمون جانبه، ثم حمل السيف تحت ملابسه، ومَرَّ بجوار الرسول ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال الرسول ﷺ: (**أَفُضَالَةُ؟**)، قال: نعم، فضالة يا رسول الله، فقال ﷺ: (**مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟**)، قال: لا شيء، كنتُ أَذْكُرُ الله، فضحك الرسول ﷺ، وقال: (**اسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَا فُضَالَةُ**)، ثم وضع ﷺ يده على صدر فضالة فسكن قلبه !

فكان فضالة يقول: والله ما رَفَعَ يده عن صدري حتى ما من خَلْقِ الله شيءٌ أحبُّ إليَّ منه ﷺ[1].

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي ... وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ[2]

«كان محمد حليماً رقيق القلب عظيم الإنسانية»[3].

يُقَابِلُ البِشْرَ مِنْهُ بِالنَّدَى خُلُقٌ ... زَاكٍ عَلَى العَدْلِ وَالإِحْسَانِ مَجْبُولُ[4]

ومما يحسن الإشارة إليه أنه لا يُفهَم من رحمة المؤمنين بالكافرين في تعاملاتهم الدنيوية أنها تنفعهم بها يوم القيامة، فمصيرهم محسوم في كتاب الله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت: ٢٣)، وقال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

---

[1] البداية والنهاية، لابن كثير (٣٥٢/٤)، تحقيق علي شيري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

[2] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني، ٣٣١، ويُنسَب إلى كعب بن زهير رضي الله عنه.

[3] المرجع السابق، ٣٠٢، نقلاً عن حياة محمد، إميل درمنغم –مستشرق فرنسي–، تعريب: زعيتر ط/٢، دار العلم للملايين، ١٨٣.

[4] المرجع السابق، ٣٨١، ونَسَبَه إلى شرف الدين البوصيري.

وخير ختام لهذه المواقف العطرة من سيرته النَّظرة، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وَأَرسَلَهُ اللَهُ المُهَيمِنُ رَحمَةً ... فَلَيسَ لَهُ في المُرسَلينَ مُماثِلُ[1]

«شَغَلَ الإسلام تفكيري كليَّةً، ولم أكن كاذباً حين قُلتُ إنني أعتقد في نبوة محمد»[2].

* * *

[1] الرحمة في حياة الرسول ﷺ، للسرجاني ، ٣٦١، ونَسَبَهُ لابن حجر العسقلاني.

[2] يوميات إيجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد عوني عبدالرءوف، ١٥٥.

❖ ومِن جميل ما يُختم به هذا البحث اليسير، ذِكْرُ شيءٍ من **وسائل جَلْبِ رحمة الله ﷻ للخَلْق**، فهاكَ منها:

١- **الاستمساك بكتاب الله ﷻ وسُنَّة رسوله ﷺ**، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: ٥٧)، وقوله ﷻ: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٦).

٢- **الدعاء**، ومنه دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨)، ودعاء أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: ١٠).

أصابَ النَّبيُّ ﷺ ضَيْفًا، فَأَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِهِ يَبْتَغِي عِنْدَهُنَّ طَعَامًا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَالَ: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لا يَمْلِكُهَا إِلا أَنْتَ**)، فَأُهْدِيَتْ إِلَيْهِ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَقَالَ: (**هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ**)[(١)].

٣- **لزومُ جماعة المسلمين**، قال رسول الله ﷺ: (**الجَماعَةُ رَحْمَةٌ، والفُرْقَةُ عَذابٌ**)[(٢)].

٤- **الصبر عند المصائب**، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦ – ١٥٧)، وكان النبي ﷺ إذا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أو غَمٌّ قال: (**يا حَيُّ، يا قيُّومُ، برَحمتِكَ أستَغيثُ**)[(٣)].

٥- **عدم القنوط من رحمة الله ﷻ** -مهما كان حجم الذَنْب-، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٣٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٣)، وينظر صحيح الجامع (١٢٧٨). ومعنى (شاةٌ مَصْليَّة): أي مشوية. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، حديث رقم (٥٩٣١). والحديثُ بَوَّبَ عليه الإمام ابن أبي شَيبَة رحمه الله في مُصَنَّفِهِ فقال: [الرَّجُلُ يُصِيبُهُ الْجُوعُ أَوْ يَضِيقُ عَلَيْهِ الرِّزْقُ مَا يَدْعُو بِهِ].

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في (زوائد المسند) (٤/ ٢٧٨) رقم (١٨٤٧٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٣١٠٩).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٥١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، ينظر حديث (٤٧٩١).

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)، وذلك أنَّ القنوطَ من رحمة الله ﷻ ليست من صفات المؤمنين، كما قال الله حكاية عن إبراهيم ﷺ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر: ٥٦)، **ومنه عدم تقنيط الناس من رحمة الله،** كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفَقِيهِ؟ الَّذِي لا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلا يُرَخِّصُ لِلْمَرْءِ فِي مَعَاصِي اللهِ، وَلا يَدَعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً إِلَى غَيْرِهِ، إِنَّهُ لا خَيْرَ فِي عِبادَةٍ لا عِلْمَ فِيهَا، وَلا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا فِقْهَ فِيهِ، وَلا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لا تَدَبُّرَ مَعَهَا»[1].

٦- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،** ومنه النصح للناس بطبقاتهم، والسعي في هدايتهم، مع الرفق بهم، والإشفاق عليهم، ومنه التماس الأعذار بين الإخوان، ونشر خُلُق العدل الإنصاف، واجتناب سوء الظن وأمراض القلوب كالحسد والبغضاء، ومنه الموالاة للمؤمنين والمعاداة للكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة: ٧١)، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥).

٧- **بِرُّ الوالدين، وخَفْض جناح الذل لهما،** كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣ – ٢٤)، وقال ﷻ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ

---

[1] رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦١)، ورواه الآجرّي في أخلاق العلماء، ص٥٣.

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الأحقاف: ١٥ – ١٦)

٨- **المحافظة على أذكار الصباح والمساء**، ومنها قول: **(يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)**[(١)].

٩- **كثرة الصلاة على النبي** ﷺ، قال النبي ﷺ: **(مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)**[(٢)]. قال صاحب تحفة الأحوذي: «أَيْ أَعْطَاهُ اللهُ بِتِلْكَ الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرًا مِنَ الرَّحْمَةِ»[(٣)].

وذَكَرَ ابن القيم رحمه الله: «أَنَّهَا سَبَبٌ لنَيلِ رَحْمَةِ اللهِ لَهُ؛ لِأَن الرَّحْمَة إِمَّا بِمَعْنى الصَّلَاة كَمَا قَالَهُ طَائِفَة، وَإِمَّا مِن لوازمها وموجباتها على القَوْل الصَّحِيح، فَلَا بُدَّ للْمُصَلِّي عَلَيْهِ من رَحْمَة تناله»[(٤)].

١٠- **قول دعاء دخول المسجد**، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ)**[(٥)].

١١- **المحافظة على أذكار النوم**، ومنها: قول النَّبِيُّ ﷺ: **(إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)**[(٦)].

١٢- **شُكر النّعَم**، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (إبراهيم: ٧)، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (الزمر: ٦٥ – ٦٦).

وبهذا يتبيَّن حاجة المؤمن لرحمة الله عز وجل، وأنها تُستجلَبُ في كل وقت وفي كل حال.

---

(١) رواه النسائي (١٠٣٣٠)، وغيره، وحَسَّنه الألباني في صحيح الجامع، ينظر حديث: (٥٨٢٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القولِ مثلِ قولِ المؤذن لمن سَمِعَه (٣٨٤).

(٣) تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، رقم (٣٦١٤).

(٤) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ٢٤٦، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٥) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقول إذا دخل المسجد (٧١٣).

(٦) رواه البخاري: كتاب الدعوات، بدون باب (٦٣٢٠).

❖ **من معوقات تطبيق خُلُق الرَّحمة:**

أنْ يُنظَرَ إلى هذا الخُلُق نظرة ضعف، فيُظَن أنَّ مَن يستعمل الرحمة في بعض الشؤون الدنيوية ضعيف! كمن يستعملها في الجانب السياسي يُتَّهم بضعفه، وعدم حنكته! بينما هي السبب الأول –بعد الله ﷻ– في إصلاح الشؤون السياسية، وغيرها من الشؤون.

فمن أكبر المصائب اليوم أن تُفصَل الرحمة عن واقع الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: **(لا تُنْزَعُ الرَحمة إلاَّ مِنْ شَقِيٍّ)**[1]، وقال ﷺ: **(خَابَ عَبْدٌ وخَسِرَ، لَمْ يَجعَلِ اللهُ تَعَالى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلبَشَرِ)**[2]، قال مالك بن دينار رحمه الله: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله على قوم إلاَّ نَزَعَ الرحمة من قلوبهم»[3].

❖ **ومن آثار هذه الخُلُق العظيم، والمبدأ النبيل:**

نجد أن المحافظة على هذا الخُلق والسعي لتحقيق كماله بالوسائل المذكورة آنفاً = تَجلِب للعبد خيري الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل: ٩٧)، وتأخذ بيده إلى جنة عرضها السموات والأرض، كما قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ (سورة الجاثية: ٣٠).

ونجد كذلك أنَّ مِن أبرز ما ورَّثه هذا الخُلُق للصحابة رضي الله عنهم: سعادتهم، والترابط فيما بينهم، واقترابهم من نبيهم ﷺ وكسر الحواجز بينهم، ومحبته وسرعة الاستجابة له، وأمَّا من جاء بعد الصحابة من المؤمنين: فربحُه اقترابُ منزلته من رسول الله ﷺ يوم القيامة، كما قال ﷺ: **(إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا)**[4].

---

[1] رواه أبو داود (٤٩٤٢)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

[2] رواه أبو نعيم، في معرفة الصحابة (٤٦٧٩)، وحسَّنه الألباني، في السلسة الصحيحة (٤٥٦)، وصحيح الجامع (٣٢٠٥).

[3] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦١/١٥)، عند تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر.

[4] رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وكذلك على المستوى العام فهذا الخُلق يجلب الزيادة في استقرار الناس وأمانهم من أعدائهم؛ حيث إن الرحمة بهم تضع مسافة بينهم وبين عدوهم.

وكذلك من أعظم الآثار إصلاح الشؤون الدنيوية، منها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية، وغيرها.

وأمَّا آثارها على غير المسلمين، فمنها: معرفة صدق نبوتِه ﷺ، وشمولية دعوته، وصحَّة منهجِه، ووضوح أمرِه، واحترام رأيِه، وعظيم حلمِه، ولو لم يستجيبوا له !

ومن وفَّقه الله لرحمته ورضاه في الدنيا حَلَّت عليه رحماته يوم القيامة، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٧)، وقال ﷺ: (**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ** [وذَكَرَ منهم]: **وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ**)[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

رَبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وأنتَ خيرُ الراحمين ..

فجر عرفة ١٤٣٨هـ

Abdulrhman4321@gmail.com

[1] رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

المصادر والمراجع:

١ – الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ط/٥، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ.

٢– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، والإصابة، لابن حجر، طُبِعا سوياً، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة الطباعة.

٣– أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت، بدون سنة الطباعة.

٤– البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق علي شيري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٥– البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت،١٣٩١هـ.

٦– التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، بدون طبعة، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.

٧– تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ.

٨– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٩– جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠– الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٣٤هـ.

١١– الرحمة في حياة الرسول ﷺ، أ. د. راغب الحنفي السرجاني، ط/٢، رابطة العالم الإسلامي، الرياض، ١٤٣١هـ.

١٢– السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، بدون سنة الطبعة.

١٣– سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون سنة الطباعة.

١٤– سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بدون طباعة، دار الفكر، بيروت، بدون سنة الطباعة.

١٥– سنن الترمذي، الجامع الصحيح، محمد بن عيسى السلمي الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون سنة الطباعة.

١٦– سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق حسن عبدالمنعم شلبي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٧- صحيح البخاري، المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد إسماعيل البخاري، ط/١، دار ابن حزم، القاهرة، ١٤٣٠هـ.
١٨- صحيح مسلم، المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون سنة الطباعة.
١٩- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، بدون سنة الطباعة.
٢٠- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم، ط/٣، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٣٥هـ.
٢١- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٣- مختار الصحاح، للرازي، ط/١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ.
٢٤- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٥- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون سنة الطبعة.
٢٦- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣١هـ.
٢٧- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ.
٢٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٣٩٢هـ.
٢٩_ الموطأ، مالك بن أنس بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحساء التراث العربي، بيروت، بدون سنة الطبعة.